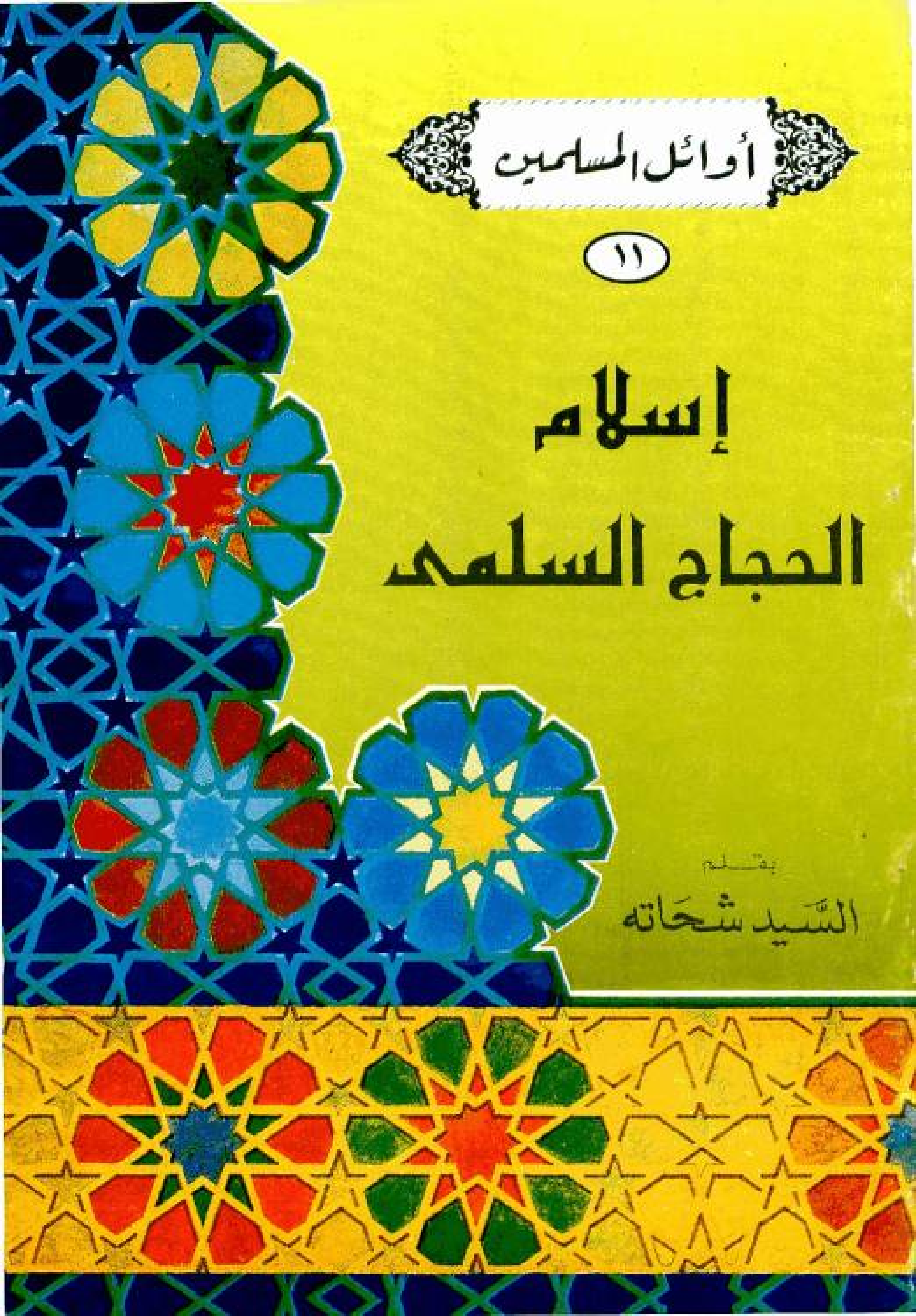
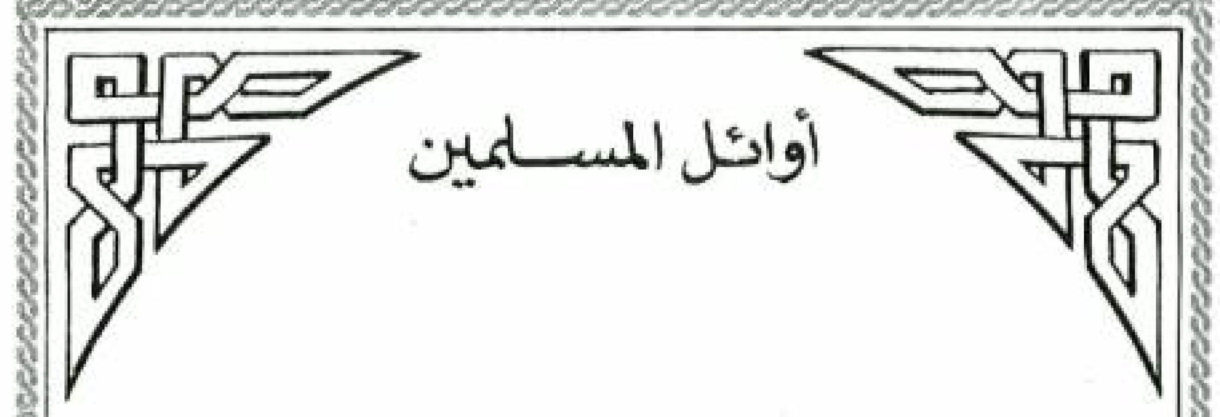

أوائل المسلمين
١١
إسلام
الحجاج السلمى
بقلم
السيد شحاته

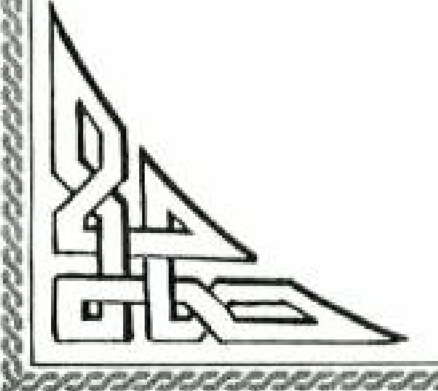


أوائل المسلمين

إسلام الحجاج السلمى

بقلم

السيد شحاته



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالَمين ، والصَّلاةُ والسلامُ عَلَى المَبْعوثِ رحمةً للعَالمينَ ، وعلى آله وصَحْبِهِ ، ومن اهْتَدى بَهدْيِهِ إلَى يَومِ الدِّين .

وبَعْد :

فَهَذهِ صُورة صادِقةٌ بيْنَ يَديْك أيُّها القارئ العَزيزُ ، لصَفْوةٍ منَ الصَّحابَةِ الأجلَّاء الَّذين دخَلُوا فى دِينِ الله أفواجًا وضحَّوْا بالغالى والنَّفيسِ فى نَشْر هذه الدَّعوة المبارَكة .

وقد جاءتْ رائعةَ الأُسْلوبِ ، قَريبةً إلى الأذهان .

والله نرجُو أن تكونَ مُفيدةً هادِيةً ، وأن يسْتَفيد منها كُلُّ مُسلمٍ لأنها مأخُوذَة من صفحات التَّارِيخ الإسلامى العظيم .

والله ولىُّ التوفيق

الحَجَّاجُ السَّلَمِىُّ

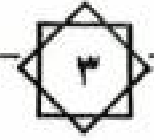
حَدِيثُنا فى هٰذهِ القِصَّةِ الخَالِدةِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ صَلواتُ اللهِ عَليهِ ، رَجلٌ صاحِبُ عَزيمةٍ مَاضِيةٍ ، وصَاحبُ حِيلةٍ بارِعةٍ .

هُوَ الحجَّاجُ بنُ عِلاطٍ السُّلَمى ، نَشأَ فى مَكَّةَ ، وكانَ سَبَبُ إسْلامِهِ أنهُ خَرجَ فى جَماعةٍ مِنْ قَومِهِ فى رِحْلةٍ مِنْ رَحلاتِهِم ، فأظْلَم عَليهِمُ الَّليلُ ، واسْوَدَّتِ الطُّرق أَمامَهُم ، فَنزلُوا فى مَكانٍ بجانبِ جَبلٍ شَاهِقٍ ، ولكن الخَوْفَ استَوْلَى عَليهِم والرُّعبَ تمكَّن مِنْ نُفُوسهِم . فقالَ واحِدٌ مِنْهُم :

– قُمْ ياحَجاجُ واتَّخِذْ لَنا حِيلَةً نأْمنُ بهَا ونَهدأُ ونَطمئنُّ فى هٰذهِ اللَّيلةِ الشَّديدةِ الظَّلام .

فَقامَ الحجاجُ ، وأخذَ يتْلُو بَعضَ مايعْرِفُ مِن كَلمَاتٍ ويطْلبُ مِنَ اللهِ أنْ يحفظَه هُو ، وأصْحابَه حتَّى يَرجعُوا سَالمينَ إلَى أهْليهِمْ ، نَاجينَ مِنْ شرِّ الجنِّ ، وصَارَ يستعيذُ ، ويفْزَعُ إلَى اللهِ .

وبيْنَما هُو يُردِّد مايَحفظُ مِنْ كَلامٍ . ويُرتِّلُ مايَعرفُ مِنْ شِعْرٍ ، يدْعُو إلَى السَّلامة والأمانِ – بيْنَما هُو كَذلكَ إذْ سَمعَ قائلاً يقولُ :



﴿ يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَـٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾

ولَم يَكنِ الحجّاجُ قَدْ سَمعَ بهٰذا الكَلامِ مِنْ قَبْلُ ، ولاعَهْد لَه بمِثْلِ هٰذا القَولِ المُمْتازِ ؛ لذٰلكَ حَفظَهُ وعَلِقَ فى صَدْرِهِ ، وصارَ يُردِّده أينمَا سارَ .

ولمَّا رَجعَ الحجَّاجُ مَعَ صَحْبه إلَى مَكَّة ذَهَب إلَى نادِى قُريشٍ كَعادتِه وجَلَسَ فى وَسَطِهِم وقالَ :

– ياقَوم ، لَقَد نَزَلْتُ مَعَ صَحْبِى بمكانٍ كَذا ، ومَلكَ الخوْفُ عَلَينا جَميعَ مَشاعِرِنا ، ولمَّا قلْتُ كَلامًا أطْرُدُ بهِ الشَّياطينَ سَمعتُ قَائلاً يقُولُ :

يامَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ إنِ استَطَعتُم .. فَصرخُوا جَميعاً فى وَجْهه ، وقالَ قائلُهم :

– ياحَجاجُ إنَّكَ كَفرْتَ بآلهتِنا ، وخَرَجْتَ عَنْ عِبادَتِنا ، وتَركْتَ دِينَ آبائِكَ وأجْدادِكَ .



– إنَّ هَذا الكَلامَ مِنْ كَلامِ مُحمدٍ الذِى يقُول إنَّه أُنْزِلَ عَليهِ وأنْتَ تَعلمُ أنَّ مُحمدًا قَد سَفَّه عُقُولنا ، وسَبَّ آلهتَنا ، وخَرَجَ عَلينَا .

فقالَ الحجَّاجُ :

– ياقَومُ ، واللهِ لَقَد سَمعتُه وسَمِعه أصْحابِى مَعِى .

ورَكبَ الحجَّاجُ ناقتَه سِرًّا ، وانْطلقَ بهَا إلَى رسُولِ اللهِ – عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلام – بِالمدِينَةِ ، ولَم يُخْبِرْ أحَداً بمَا عَزَم عَليهِ ، ولَم يَعْرفْ إنْسانٌ أنَّهُ خَرَج لِيَلْحَقَ بمُحمَّدٍ عَليهِ السَّلامُ بالمدِينة .

لَمْ تَعرفْ زَوْجَتُهُ ، ولَم يَعْرِفْ أقربُ النَّاس إليهِ .

دَخَل الحجَّاجُ المدِينَة المنَوَّرةَ ، وذَهبَ إلَى رسُولِ اللهِ – صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم – ودخَلَ فى دِينِ الإسْلامِ . لأنَّ اللهَ حَرَّكَ فيهِ عاطِفةَ الإيمانِ إذْ سمِعَ آياتِ القُرآنِ الكَريمِ .

وكانَ دُخُوله إلَى المدِينةِ فى السَّنةِ السَّابعةِ للهِجْرةِ وقَدْ بدأ الرَّسولُ عَليهِ السَّلام يُعدُ العدَّةَ لحرْبِ اليهُودِ ، الَّذينَ كثُرتْ خِياناتهُم ، وتوالَتْ عَلى المسْلمينَ شرُورُهُم ، وَصارُوا حَرباً عَلى الإسْلامِ ، يُريدُونَ أنْ يطْفِئُوا نُورَ اللهِ بأفْواهِهِم ، ولكنَّ اللهَ لابدَّ أنْ يُتِمَّ نُورَه .

كانَ اليَهودُ يسْكنُون (خَيْبَر) فقَصد إليَها رسُولُ اللهِ عَليهِ السَّلامُ مَعَ جَيْشِهِ ، وحَاصَرها سبْعَ عَشْرة لَيلةً ، ثمَّ فتحَها ومَلَكَ أرْضَها وأسرَ كثيراً مِنْ أهْلِهَا .

ثمَّ طَلَبَ اليَهودُ مِنَ النّبيِّ عليهِ السَّلامُ أنْ يترُكَ لَهمُ الأرْضَ ليزْرعوها مُناصَفةً بيْنَهمْ وبَينَ المسْلمِينَ ، فأجَابهُمْ إلَى ماطَلَبُوا .

فَرحَ المسْلمُونَ فى المدينةِ بنَصْرِ اللهِ فَرحاً عَظيمًا لأنهمْ كثيرًا ماصَبرُوا علَى شرِّ اليَهودِ ، واحتَملُوا مِنْهم أذًى شَدِيدًا .

* * *

وكانَ الكُفّار فى مَكّة فرِحينَ ، لأنَّ مُحمدًا دَخلَ فى حَربٍ مَعَ اليَهودِ ، وهُم فى شَوقٍ شَديدٍ إلَى أنْ يسمَعُوا أخْبارَ هٰذهِ الحرْبِ ، وهُم أشدُّ شَوقاً أنْ يَسمعُوا أنَّ اليهودَ قَد غَلبُوا مُحمدًا وهَزمُوا جَيشَ المسْلمِينَ .

كانَ كفَّارُ مَكّة يقُولُونَ إنَّ اليهودَ فى خَيْبَر لَهمْ حُصونٌ شامخةٌ ولَديْهم أسْلحةٌ قَاتلةٌ ، وأنّهمْ .... وأنهم .. فإذا دخَلَ مُحمدٌ مَعهم فى حَربٍ فَلا شكَّ أنّهمْ سينْتَصرون عليهِ ، ويَهْزمُونه ، وبذلكَ يَسْتريحُ الكُفّار مِنَ الدَّعوةِ الجديدَةِ الّتى جَاءهُم بهَا مُحمدٌ عَليهِ السَّلامُ .

ولكنَّ اللهَ خيَّبَ ظَنَّ هؤُلاءِ الكَافِرِينَ ، فانْتَصر مُحمدٌ على اليهُودِ ، وكانَ سُرورُ أَهْلِ المدِينَةِ بهٰذا النَّصْرِ كَبيرًا .

وكانَ مِنَ المحارِبينَ فى جَيْشِ المسْلمينَ الحجَّاجُ السُلمىُّ .

ورجَعَ جَيْشُ المسْلمينَ إلَى المدِينَة بَعْد انْتصارِهم ، ولَكنَّ الحجَّاجَ لم يَرْجعْ مَعهُمْ إلَى المدِينَة ، بَلِ استأْذنَ رسولَ اللهِ فى أَنْ يذْهَبَ إلَى مَكَّة .

ولمَّا سَأَلهُ رَسُولُ اللهِ عَليهِ السَّلامُ ، عَنْ أَسبابِ رجُوعهِ إلَى مَكَّة قالَ لَهُ :

– يارَسولَ اللهِ ، إنَّ لى مالاً كَثيراً فى مَكَّة ، ولَو عَلِمَ أَهْلُها بأَنِّى أَسْلمتُ ، وحَاربتُ مَعَ المسْلمِينَ لضَاعَ علىَّ هَذا المالُ ، وحَرَمنى أَهْلُ مَكَّة مِنهُ .

كَما إنِّى أَدَّخِرُ عِنْد زَوْجَتِى (أمّ شَيْبَة بنْتِ طَلْحة) حَاجبِ الكَعبةِ مَالاً كثيراً . وهىَ أشدُّ النَّاسِ عَداوةً للإسْلامِ .

وإنِّى لحَرِيصٌ عَلى استِردادِ أَمْوالِى كلِّها لأنْفِقَها فى سَبيلِ اللهِ .

والرَّسولُ الكَريمُ صاحِبُ ذَكاءٍ وفِطْنَةٍ فلَم يغِبْ عنهُ ذَلكَ فأذنَ للحجَّاجِ أَنْ يَعودَ إلَى مَكَّة ؛ ليجْمَع مَالَه الكَثِير ، ثُمَّ يعودَ .

ولَكنَّ الحجَّاجَ استأْذنَ النَّبىَّ عليهِ السَّلامُ فى أمْرٍ آخَرَ.

ماهُوَ هَذا الأمْرُ؟

استأْذنهُ أَنْ يَشْتُمَ المسْلمِين ويَسبَّهُم أَمامَ كفَّارِ مَكَّة، وأَنْ يُخْبِرَهُمْ أَنَّ رَسولَ اللهِ قَد ماتَ فى غَزوةِ خَيبرَ، وأَنَّ اليَهودَ قَتلوهُ فى الحرْبِ!!

فابتَسَم الرَّسولُ ابْتسامَة الرِّضا، وأَذِنَ لهُ.

* * *

رَكبَ الحجَّاجُ ناقتَه إلَى مَكَّة، وفى نَفْسِه أمَلٌ كَبيرٌ فى أنْ يستَولىَ عَلى جَميعِ أمْوالِه، ثمَّ يعودَ إلَى رِحابِ المسْلمِينَ فى المدينَة ويَسْعَدَ بجوَارِ رسُولِ اللهِ عَليهِ السَّلامُ.

وصَلَ الحجَّاجُ إلَى مَكَّة، وانتَقَل خَبرُ عودتِه إلَى جَميعِ قُريشٍ وقَدْ كانُوا مِنْ خَبره فى ضَلالٍ، بعْضُهم يقُولُ: إنَّهُ مَاتَ، وآخرُون يقولُونَ إنَّه ضَلَّ.. وهَكَذا.

ولمَّا وصَل إليهِم فَرحُوا برجُوعِهِ، واطْمأنُّوا إليهِ، ورَحَّبوا بِهِ، ثمَّ التفُّوا حَولَه يسْألونَه:

- أيْنَ كُنتَ ياحَجاجُ؟

فيقُولُ الحجَّاجُ:



– إنَّ عِندِى مِنَ الأخْبارِ مايَسرُّكُم ، لَقَد شَهدتُ قتَالَ مُحمدٍ فى خَيْبَرَ وقدِ انْهزَم أصْحابُ مُحمدٍ شرَّ هَزيمةٍ ، وأُسِرَ مِنْهم خَلقٌ كثيرٌ ، حتَّى مُحمَّد نَفْسهُ ، وقَع أسِيرًا فى يَدِ اليَهودِ .

ثمَّ يَزيدُ الحجَّاجُ فى مُبالغَاتِه ، وادِّعاءاتِهِ فيقُولُ :

– إنَّ اليَهودَ قالُوا لنْ نَقْتلَ مُحمدًا بأيْدِينا ، ولكنَّنا سنُسلِّمه إلَى أهْلِ مَكَّة ، لِيَفعلُوا بهِ مايُرِيدُونَ .

وهنَا يَصيحُ المشْرِكونَ فَرحينَ بذٰلكَ النَّصْر الذِى أتاهُم وهُم فى بَلَدِهم آمِنُون .

ويَنْتهِزُ الحجَّاجُ هَذا الفرَحَ ، ثمَّ يتقدَّم إلَى مَن عِنْدَهم مَالُه فيُطالِبُهمْ بما عنْدَهم لَهُ مِنْ مالٍ ويقُولُ لَهم :

– أسْرِعُوا بردِّ مَالى حتَّى أُسَافِرَ فوْرًا إلَى خَيْبَر . فأشْتَرِىَ تجارَةً ممَّا أخَذهُ اليهودُ مِنَ المسْلمِينَ ، وسأَرْجعُ إلَيْكم مُسْرِعًا بِربْحٍ كَبيرٍ .

وَيتَسابَقُ أهْلُ مَكَّة إلَى ردِّ الأمْوالِ إلَى الحجَّاج ، لِيُسْرِعَ فَيشْتَرِىَ ممَّا غَنَمَهُ أَهْلُ خَيْبَر فى حَرْبِهمْ مَع المسْلمِينَ .

وامْتلأتْ أرْجاءُ مَكَّة كلُّها بخبرِ هَزيمةِ المسْلمِينَ ، وانْتصار اليَهُودِ عَليهِم فى خَيْبر ، فَفرحَ الكفَّارُ ، وذَهبُوا إلَى الأصْنامِ

يُنظِّفونَها ، ويُقدِّمونَ لَها الصَّلواتِ والقَرابينَ ، وأقْبلَ بَعضُهم عَلى بَعضٍ مُهنِّئينَ .

وكانَ فى أنْحاءِ مَكَّةَ قَليلٌ مِنَ المسلمينَ الذِينَ لَم يُهاجِروا إلَى المدينةِ مَعَ رسُولِ اللهِ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فلمَّا سَمعُوا أخْبارَ هَزيمةِ إخْوانِهِم الَّتى شَاعَتْ فى مَكَّةَ حَزِنُوا حُزْناً كَبيرًا ، وتَقَطَّعَتْ نفُوسُهم حَسَرات ، وكانَ أكْبرُ تَفكيرِهم فى الرَّسولِ الحَبيبِ ، كَيفَ يأسِرُهُ اليَهودُ ؟ وكيفَ سَيُسلِّمونَه إلَى كُفَّارِ مَكَّةَ ؟

إنَّهم يَوَدُّون جَميعاً لو يُقَدِّمُون نُفُوسَهُم فِداءً لهُ .

ولٰكنَّ اللهَ بَعثَ الصَّبْرَ إلَى قُلوبِهمْ ، فسَكنُوا عَلى هَمٍّ وقَلَقٍ .

* * *

أمَّا العبَّاسُ بنُ عَبْدِ المطَّلبِ ، عمُّ النَّبِى عَليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَكانَ فى حُزْنٍ وحَسْرَةٍ ، لَكنَّه شَغَلَ نَفْسَه ، فَلَم يُظْهِر حُزْنَه ، ولاقَلقَه ، وصارَ يُقابلُ كلَّ مَنْ يَأتى إلَيهِ مُسْتفهِمًا عمَّا حَصَلَ لمحمدٍ وأصْحابِهِ ، ويَتكلَّفُ أمَامَه الثَّباتَ والاطْمِئْنانَ .

وفى اللَّيلِ دَعا غُلامَهُ وقالَ لَه :

– اذْهَبْ إلَى الحجَّاجِ ، وقلْ لَه : إنَّ العبَّاس يُقْرِئكَ

السَّلامَ ، ويقُولُ لكَ : اللهُ أَجَلُّ وأكْرَمُ منْ أنْ يَكونَ ما حدَّثتَ بهِ حقًّا .

جَاء غُلامُ العبَّاسِ إلَى دارِ الحجَّاجِ فقالَ لهُ ما كلَّفهُ بِه سيِّدهُ فانْفردَ بهِ الحجَّاجُ وقالَ لَه :

– ياأبا زَبيبةَ ، ارْجعْ إلَى سيِّدك العبَّاس ، وقلْ لهُ : إنَّ الحجَّاجَ يُريدُ أنْ يختلِيَ بكَ فى منْزلكَ ، فاجْعلَ لهُ وقتًا يجيءُ فيهِ .

وينْفلتُ (أبُو زَبيبة) غلامُ العبَّاس فرِحًا مُسرعاً إلَى سيِّده قائلاً لهُ ماقالهُ الحجَّاجُ .

* * *

جاءَ الحجَّاجُ واختَلَى بالْعبَّاسِ ، وقالَ لهُ الحقِيقَة كمَا كانَتْ ، وكمَا وقعتْ ، أخْبرَه كيفَ انْتصر المسْلمُون علَى اليَهودِ فى خيبرَ ، وكيفَ قتلُوا زَعيمهم (حُيىْ بن أخْطَب)

ثمَّ قالَ لَه :

– إنِّى استأْذنتُ مِنْ رَسولِ اللهِ صَلَواتُ اللهِ عَليهِ أنْ أجيءَ إلَى مكَّة ، وأقُولَ ماقلْتُ حتَّى أستردَّ مالى ، وأسْترْجعَ ماادَّخرتُه فى مكَّة ، لأنْفقَه فى سبيلِ اللهِ ، فأذِنَ لى .

فَسرَّ العبَّاسُ بذٰلكَ كثيرًا ، وقامَ إِلَى الحجَّاج فعانَقهُ ، ودَعا لهُ بالخيْرِ .

وكَتَم العبَّاسُ فى نَفْسِه ماسَمِعَ مِنَ الحجَّاجِ ، ولَم يُظْهِرْهُ للمشْرِكينَ حتَّى يأمَنَ الحجَّاجُ عَلَى نَفْسِه ومَالهِ ، ثُمَّ يعُودَ إِلَى رسُولِ اللهِ عَليهِ السَّلامُ بالمدِينةِ واستَمرَّ المشْركُونَ يتَقابَلُونَ مَعَ العبَّاسِ ؛ ويُظْهِرونَ لَه الشَّماتَةَ بابنِ أخيهِ محمدٍ فَيسْكُتُ .

أمَّا المسْلمونَ فى مَكَّةَ فلَم يُخبِرْهمُ العبَّاسُ بشَيْءٍ مخَافةَ أنْ يتسَرَّبَ الخبَرُ فى أنْحاءِ مَكَّة فَينالُ الحجَّاجَ مِنْ ذَلكَ شرٌّ .

* * *

جَلَس الحجَّاجُ مَعَ زَوجَتِه (أُمّ شيبَة) فى آخرِ ليلةٍ عزَمَ عَلَى أنْ يَقْضِيهَا فى مَكَّة ، ثمَّ قالَ لَها :

- أبْشرى يا أمَّ شَيْبَة ، سأُسَافر الليلةَ إِلَى خَيبَر ، قَبْل أن يَسْبِقَنِى التُّجارُ الَى شَراءِ الغنَائِم ، فَسَأشْتَرِى مِنْها ماأقْدِرُ عَليهِ ، ثمَّ أعُودُ بقَافلةٍ مُحمَّلة مِنْ كلِّ شَيءٍ ، وبذٰلكَ سَنكُونُ مِنْ أغْنَى النَّاسِ فى مَكَّة ، وسَأجْلِبُ لَكِ كلَّ ماتُحِبينَه ، وكُلَّ ماتَرْغبينَ فيهِ ، حتَّى لايكونَ فى مَكَّة كلِّها امْرأةٌ أَيْسَرَ حالاً مِنْكِ ، ولا أعزَّ مَكانةً وعِندَ ذَلكَ تقُومُ أُمُّ شَيبَةَ ، وتُعْطيه كلَّ ماادَّخروهُ مِنَ

المالِ ، وتَسْتَحْلِفُه بالأَصْنامِ أَلاَّ يغيبَ ، وأن يُسْرِعَ فى جَلْبِ التِّجارةِ ، وتَدْعو لَهُ أَنْ يَعُودَ سَالمًا غانمًا الرِّبحَ الكَثِيرَ .

* * *

يَخرُجُ الحجَّاجُ مِنْ مَكَّة يَرْكَبُ نَاقتهُ ، ويَحْملُ مَعهُ المالَ الذِى جَاءَ مِنْ أجْلهِ ، يَخْرجُ والنَّاسُ فى مَكَّة ، يودِّعُونَه آمِلينَ أَنْ يَعودَ إِلَيهِم مُسْرِعًا بِرِبْحٍ عَظيمٍ .

يُسْرِعُ الحجَّاجُ بناقَتِه ، قاصِداً صوْبَ المدِينةِ المنَوَّرةِ حَيْثُ يَنْزِلُ الرَّسولُ صَلواتُ اللهِ وسَلامُه عَليهِ .

مَرَّتْ بعْضُ ليالٍ بَعْد أن سَافَر الحجَّاج إِلَى المدِينةِ ، ثمَّ قَصَد العَبَّاسُ إِلَى (أُمِّ شَيْبة) وقالَ لَها :

– ياأُمَّ شَيْبة ، أَينَ الحجَّاجُ ؟

فقَالَت زَوجَتُه أُم شَيْبَةَ :

– سافَرَ ليشْترىَ لَنا ماأخَذَ اليهودُ مِنْ جَيْشِ المسْلمِينَ .

فيضْحَكُ العَبَّاسُ (رَضىَ اللهُ عنهُ) ويقُولُ :

– أيتُها المَخْدُوعَةُ ، ضاعَ مِنكِ الزَّوجُ والمالُ إِنَّكِ غارِقةٌ فى أحْلامٍ ! !

فتُدْهشُ (أم شَيْبة) وتقُولُ للعبَّاسِ :

- ماذا تَقولُ ياعبَّاسُ ؟

فيقُولُ لَها « رَضِيَ اللهُ عنْهُ » :

- إنَّ زوجَكِ قدْ أسْلَم ، وسافرَ ليلْحَقَ بمحَمَّدٍ وأصْحابه ، وقَدْ خدَعكم ياأهْلَ مكَّة ليستَرِدَّ أمْوالَه .

فَقالَتْ أُمُّ شَيْبة فى حُزْن :

- ياابنَ العَمِّ ماأرَاكَ إلاَّ صَادقاً ، ولَكِن مَنْ أخبرك بهٰذا ؟

فقالَ العبَّاسُ :

- الحجَّاجُ هُو الَّذى أخْبَرنى ياأُمَّ شَيْبَة .

فانْطلقَت أمُّ شَيْبَةَ إلَى أهْلِها حَزِينةً باكيةً مُوَلْوِلَةً ، فَقَدْ ضَاعَ مِنْها زَوْجُها ، وضَاعَ مِنْها مالُها .

* * *

أمَّا العبَّاسُ ، فَقَال للمسْلمِين مايَعْرف ، فَسَرَّهُم بَعدَ حُزْنٍ ، وفَرَّحَهُم بَعدَ مانَالَهم مِن الغَمِّ والحَسْرة ، وانْتَشَرت فِيهِم بَوادرُ النَّصرِ ، فكَانَتْ لَهمْ أمَلاً ونُورًا .

وسَارَ العبَّاسُ إلَى الكَعْبَةِ ، فوجَدَ الكُفَّار يتقَوَّلونَ ، ويَكذِبونَ ومِنْهُم مَنْ يَسْجد للصَّنَم ، ومَنْ يتَقَرَّبُ إلَى الحجَر .

فقالَ لَهمُ العبَّاسُ :

- هَلْ أتاكُم الخبرُ فى موقعةِ خَيْبر؟

قالُوا :

- أتانا الخبرُ الصَّادقُ ، إنَّ المسْلمِينَ هُزِمُوا ، وإنَّ مُحمدًا أَسِيرٌ عِندَ اليَهودِ ، وسَيأتُونَنا بهِ عمَّا قَريبٍ - هُنَا فى مَكَّةَ .

قالَ العبَّاسُ :

- إنَّكُم علَى ضَلالٍ وكَذِبٍ .

قال الكفَّارُ :

- كَيفَ ذَلكَ ياعبَّاسُ ؟

قالَ العبَّاسُ رَضىَ اللهُ عنهُ :

- إنَّ مُحمدًا رسُولُ اللهِ قدِ انْتصَرَ علَى يَهُودِ خَيْبَر ، وقَتلَ كِبارَهُمْ ، ومُلِّكَ المُسْلِمُون أرْضَهم ، وأسَروا كَثيراً مِنَ الرِّجالِ ، والنِّساء ، وتزوَّجَ رسُولُ اللهِ صَفيَّةَ بنْتِ حُيَىٍّ ابن أَخطَبَ زَعيمهُم .

فقالَ الكُفَّارُ :

- إنَّكَ لكاذِبٌ ياعبَّاسُ !؟ ومَنْ أَخبرَكَ بهذا ؟

فَقالَ العبَّاسُ :

أخْبرنى الحجَّاجُ السُّلمىُّ واعْلَموا أنَّه قَدْ أَسْلَم ، واشْتَرَكَ مع

مُحمدٍ فى غَزْوَةِ خَيْبَر ، وأ نَّه جاءَ مِنَ المدينةِ إلَى مَكَّة بَعْد أنِ استأْذَنَ مِنْ رسُولِ اللهِ عَليهِ السَّلامُ ؛ ليسْترِدَّ أمْواله مِنْكُم .

دُهِشَ القَومُ لذلكَ الخبرِ المؤْلمِ الذِى أنْزَلَهُ العبَّاسُ علَيْهِمْ نُزول الدَّاهِيَةِ ، فَقَلب فَرَحَهُمْ بِنَصْر اليَهودِ عَلى مُحمدٍ حُزْناً ، أصَابَ مِنهُم الصَّميمَ ، وأقْبلَ بعْضُهم يُحدثُ بعْضًا بمِا صَنعَ الحجَّاجُ ، ثمَّ ذَهبُوا إلَى امْرأتهِ « أمِّ شَيْبَة » فَوجَدُوها فى حُزْنٍ وعَويلٍ عَلى مافرَّطتْ فى المالِ ، وماخَدَعهَا بهِ زوجُها الحجَّاجُ ومَاآلَ إليهِ أمْرُهُ بَعدَ إسْلامِه ، وأنَّهُ سيَتزوَّجُ غَيْرها خَيْرًا مِنْها .

***

وقَدِمَ الحجَّاجُ إلَى المدِينَة وعاشَ بِهَا ، فى جِوارِ رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّم ، وبنَى بهَا دارًا ، ومَسْجِدًا ، يُعْرَفُ بهِ وحَضَر بقيَّة الغَزوات مَعَ المسْلمينَ فى رِكابِ مُحمدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ .

